



الجمعية الوطنية للمقارنين
قلمشؤون الفكرية والثقافية

مَهْجَاتُ فَنَى الدِّفَاعِ الْمُقَدِّمِ الثَّقَلَيْنِ فِي الْأَوَّلِ

تَحْتِ شِعَارِ

مَبْدَأِ الْعِلْمَاءِ وَدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ بِحِفْظِ أَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ

الحشد الشعبي من سمو الفكرة الى حرفة التطبيق
دراسة في استراتيجية الرد المقابل

المدرس المساعد: عبد الزهرة شهيد عجمي

الاستاذ الدكتور: عبد الرسول شهيد عجمي

مركز ذي قار للدراسات التاريخية والاثارية

المقدمة

يعد موضوع الحشد الشعبي من الموضوعات الحيوية التي فرضت نفسها بقوة على الواقع السياسي والأمني في العراق، ولعل الإنتصارات التي تحققت على أيدي النخبة المجاهدة من أبناء الحشد قد ألقّت بظلالها على المسرح السياسي العراقي، أضحى الحشد يمثل رادعاً استراتيجياً ذا توجهات روحية ومبدئية.

وعلية يأتي هذا البحث كمحاولة لإلقاء الضوء على ابرز التجاذبات السياسية والأمنية التي حتمت بنهايتها ظهور الحشد الشعبي كحقيقة استراتيجية صاعدة وفاعلة في ضبط وتحجيم التحديات الكبرى الهادفة الى تحطيم بنوية البلاد السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، من خلال بعث وتنشيط متلازمة الصراع الديني والطائفي والأيديولوجي، والتي أمست اكثر شيوعاً في العراق مع تواجد الأمريكان وبناء استراتيجياتهم الجديدة.

الباحثان

المحور الاول:

الاستراتيجية الأمريكية وموقف المؤسسة الدينية الشيعية منها

مثل خروج الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الثانية (١٩٣١ - ١٩٤٥) منتصرة إيداناً بولادة مرحلة استراتيجية وسياسية جديدة تمثلت بالرغبة الجارحة التي اجتاحت الأوساط السياسية الأمريكية، بضرورة ان تأخذ واشنطن بزمام قيادة السياسة الدولية، سيما إنها أدركت مبكراً ضعف الحلفاء (بريطانيا - فرنسا) في مواجهة التحديات مابعد الحرب وفي مقدمتها الامتداد الشيوعي المتمركز اساساً في القوة السوفياتية، وبذلك طفا على سطح الوجود الاستراتيجي ماسمي بـ (القطبية الثنائية) والنسق الثنائي القطبية (Bipolar system)، وبالرغم من ان واشنطن كانت قد اعتمدت في استراتيجياتها تلك على آليات وأدوات دعائية (ProPaganda) اتسم بها سمي المحافظة على السلم الدولي والوقوف بوجه الخطر الأحمر السوفياتي.

بيد أن النظرة المتفحصة لهذه الاستراتيجية والمتمعنة لمفرداتها وحيثياتها تجد سعيًا متواصلًا وكبيراً لتحقيق هدف رئيس هو (أمركة العالم) إذا اعتقد صانع القرار السياسي الأمريكي انها الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف ذات المديات البعيدة، حيث كانت واشنطن وقادتها يلمون بقيام عالم اميركي واحد تكون فيه الكرة الأرضية مجرد مساحة يمكن التصرف بها حسب ما يخدم المصالح الأمريكية^(١).

وعليه ونظراً لتطورات المواجهة (الأمريكية - السوفياتية) أرست واشنطن

(١) صفوان قديسي، السياسة المسلحة، دراسات في الفكر السياسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٤، ص ٨٨-٨٩.

أسس استراتيجية بنيت على بديهية وجود (عدو داهم) حتى لو كان وهمياً من أجل أن تكون استعداداتها بمستوى الأحداث، مع مراعاة إيجاد وسائل مساعدة في ادارة هذه الاستراتيجية والازمات التي قد تقع وتحتل تلك بما يعرف بالخيارات المفتوحة والمتعددة (open options)^(١).

وقد كان أبرز سمات (استراتيجية الخيارات المفتوحة) الأمريكية استخدامها أسلوب (الضد النوعي او القوة المضادة)^(٢) وهو ما أفرزته مرحلة الخمسينيات من القرن العشرين، إذ استطاعت الإدارة الأمريكية تجنيد الفكر القومي والفكر الاسلامي السلفي في صراعاتها مع الاتحاد السوفياتي، فالاتجاه الأول ظهر واضحاً مع بدايات تسلم الرئيس المصري جمال عبدالناصر مقاليد السلطة في مصر، ففي آذار من عام ١٩٥٤ رغب عبدالناصر في ان يشكل تكتلاً دولياً اسلامياً، الا ان الادارة الأمريكية التي وقفت الى جانبه من أجل احكام سيطرته على السلطة وازاحة الرئيس محمد نجيب كان لها رأي آخر، اذ لم ترحب الخارجية الأمريكية بهذه الخطوة وحبذت أن تظهره (أي عبد الناصر) بمظهر فكري تقدمي من خلال التركيز على الروح القومية وإشاعتها في المنطقة العربية، شريطة ان يجعل من مصر حصناً كبيراً ضد الشيوعية، هذه الرؤى الأمريكية كان قد نقلها الدبلوماسي الأمريكي المعروف هنري بايرود (H.Byroode) مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط الى الزعيم المصري والذي

(1) Roland Dannreuther, The Gulf conflict: A Political and Strategic Analysis, New York: Palgrave Macmillan, 1992, PP 10-12.

(٢) استراتيجية سياسية وعسكرية اعتمدها الادارة الأمريكية في مطلع الخمسينيات، اعتمدت اساس التلويح بالقوة فقط مع استخدام القوة الاقليمية المضادة عن طريق دعمها بالمعونات العسكرية والمساعدات الاقتصادية، ويمكن القول أنها بداية لاستراتيجية القوة الناعمة. عن ذلك ينظر: احمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، الولايات المتحدة الأمريكية انموذجاً، دار زهران للنشر، عمان، ٢٠١١، ص ٦٣٠.

بدوره راح يتناغم معها.^(١)

اما الضد النوعي الثاني والمتمثل في الفكر السلفي فقد عملت واشنطن على أن تجعله يتركز اساساً في الدولة السعودية والتي رأت في زعامتها للعالم الاسلامي مع وجود الأماكن الاسلامية المقدسة ما يوفر للحكومة الأمريكية حرية التعامل مع الأحداث السياسية التي تتاب المنطقة، مع حرص واشنطن على مراعاة توازن القوى بين الاتجاهين من أجل ادامة روح الصراع وتجييره لصالحها في مواجهتها مع الشيوعية العالمية، وقد اشارت الوثائق الأمريكية غير المنشورة لهذه الاستراتيجية بكل وضوح من خلال دعمها الاقتصادي والفكري للترويج للفكر السلفي السعودي، إذ اشارت إحدى الوثائق السرية أن الملك عبدالعزيز آل سعود كرس نفسه لدعم توجهات الادارة الأمريكية في المنطقة لاسيما حماية المصالح الغربية في المنطقة من جميع التهديدات خصوصاً التحديات الشيوعية، ففي لقاء جمع بين ابن سعود والسيد آرتر أيدي (A.EDDY) أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية في السعودية، وذلك بتاريخ ١٩/ مايس عام ١٩٥١، ركز فيه الملك السعودي على أهمية إقامة تحالف سعودي اسلامي مع الولايات المتحدة والقوى الغربية ضد جميع التحديات بما فيها المد الشيوعي، وطالب الملك بضرورة دعم المذهب الوهابي الذي يسعى لإحكام سيطرته على العالم الاسلامي، سيما وأن اكثر من (١٠٠،٠٠٠) مسلم يتقاطرون على المملكة للحج، و اشار الى ان دعم واشنطن له وللمذهب الوهابي سوف يحقق لها مصالحها في المنطقة ويقيم تحالفاً استراتيجياً مع معظم زعماء العالم الاسلامي.^(٢)

(١) كوبلاند، لعبة الأمم، ترجمة مروان خيرى، مركز الحرمين للاعلام الاسلامي، د.م، د.ت،

ص ١٨١ - ١٨٢ .

(2) Depart ment of Stats, confil entail – Securty In formation, Dhahran, Saudi, Arabia, from, W.A. EDDY, to Miss Dorothy Thompson, 237.E.48 th st. New York, June 7, 1951.

هذه الرغبة السعودية كانت مثار اهتمام أمريكي كبير، لذلك دأبت جامعات أمريكية رصينة كجامعة برنستون (Princeton university) وجامعة نيوجرسي (Newjersy university) ومكتبة الكونكرس (Library of congress) على دراسة الثقافة الاسلامية وتوجيهها ضمن استراتيجية الرد المتعدد الأشكال (Multideterrence) في صراعها مع الاتحاد السوفياتي، وعلية أشارت وثائق أميركية سرية الى ضرورة توجيه الثقافة الاسلامية وعقائد الإسلام في الصراع مع الشيوعية ولاسيما العقيدة الوهابية التي تكون اكثر طواعية لتقبل هذه الأفكار وأكثر صلابة وتطرفاً في تطبيقها^(١)، كما تسارعت الخطى الأمريكية لتطوير البنية الثقافية والأصولية للعقائد الاسلامية ولاسيما السلفية، إذ شكلت حلقات لهذا الغرض مع دراسة كافة الخطوات اللازمة من مالية الى ثقافية الى مطبوعات الى إظهار حرص اميركا على الاسلام بين الشعوب الاسلامية كجزء من دعاية أمريكية هادفة^(٢).

ولأجل تحقيق تلك الاستراتيجية ووجهت دعوات لمعظم قادة الفكر والثقافة الاسلامية، وهم كل من القاضي الشرعي محمد بن أحمد الهاجري مدير دار التمويل الاسلامي السعودي بالإضافة الى الحاج أمين الحسيني والباحث في شؤون الحركات الاسلامية ووزير التربية والتعليم المصري السابق محمد علي البوا، كما وجهت الدعوة الرسمية ومن قبل السفير الأمريكي في بغداد الى المجتهد الكبير، والمرجع المعروف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وضمن فتح القادة، والذي بدوره رفض الدعوة وأكد عدم جدية واشنطن على ترسيخ مبادئ الفكر الاسلامي في المجتمعات العربية^(٣).

(1) Ibid.

(2) Department of stats، office of the secretary، confiential. security In formation.: Subject، collo quiun on Is lamic culture under the Joint sponsorshio of the Library of congress and Princeton University، Januar y، 13، 1953.

(3) United states Government، Colloquium On Is Lamic Cu-

وفي ضوء ذلك سجلت المؤسسة الدينية في النجف الأشرف موقفها الواضح والراسخ من أن الغرب لا يمكن أن يتعاطفوا مع الإسلام او يروجوا لأدبياته، أضف الى ذلك حرص المرجعية الدينية على النأي بنفسها ونفوس أتباعها من الشيعة عن الدخول في معترك الصراعات الدولية في تلك المرحلة التاريخية والسياسية التي اتسمت بحدة خلافاتها الفكرية والأيدولوجية.

وبالرغم من ذلك أقيمت تلك المؤتمرات والندوات لدراسة الثقافة الاسلامية والترويج لها ضمن مديات الحرب الباردة بين القطبين العظمين آنئذ، واضطلعت بتلك المهمة الحكومة الأمريكية متمثلة بالكونكرس وجامعة برنستون، وحدث ميزانية مالية كبيرة لإنجاح هذه الدراسة قدرت بنحو (٢٥ مليون دولار أمريكي)، فضلاً عن ذلك خاطب الكونكرس شركة أرامكو العاملة في السعودية للمساهمة في دعم الفكرة مالياً وللمساهمة في إصدار كتب اسلامية لكتاب سعوديين تحث على مقاومة المد الشيوعي والتحالف مع الولايات المتحدة واعتبار ذلك استراتيجية حيوية وضرورية لأمن المنطقة والأمن القومي الأمريكي^(١).

ومع اتساع الأحداث السياسية التي انتابت المنطقة عموماً والعراق خصوصاً، اتسمت مواقف المؤسسة الدينية في العراق وإيران بالمبدئية والفهم العميق لمجريات الاستراتيجية الأمريكية ومفرداتها الجافة الى جعل اسرائيل القوة الكبرى والفاعلة في المنطقة، هذا مايمكن تأشيرته وملاحظته بدقه في موقف الولايات المتحدة من ثورة مصدق في إيران، إذ رأت واشنطن ان هذه الثورة يمكن أن تكون بداية النهاية للمصالح الأمريكية في الخليج والمنطقة، لذلك أعدت ماكتتها الاعلامية والدعائية والعسكرية للاجهاز على هذه الثورة رغم تحفظ المؤسسة الدينية الشيعية في إيران على الآليات

lure, Under The Auspices of The Library of con Gress and Princeton University, May 8.1953.

(1) Ibid.

والإجراءات التي اتخذها مصدق سيما تقريبه لعناصر الحزب الشيوعي الإيراني (توده) وموقف رجالات هذا الحزب من الدين والقومية^(١)، إلا أن زعماء الدين الشيعة رفضوا الأسلوب الذي تحاول الولايات المتحدة ورجالات البلاط الإيراني ومن ورائهم الشاه اللجوء إليه للقضاء على مصدق وثورته وبالأخص سياسة الضغط الاقتصادي وتجويع الشعب الإيراني^(٢).

وطبقاً لذلك جاءت الادارة الأمريكية كما توقعتها المؤسسة الدينية، إذ استخدمت واشنطن ما يسمى باستراتيجية دعاية الفعل (propaganda of the decided)^(٣)، وفيه لعبت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) دورها في القضاء على مصدق وحركته، وقد أعدت خطة للانقلاب على الحكومة بإشراف وتنفيذ مدير عمليات الشرق الأوسط كيرمت روزفلت (K.Roosevelt)^(٤)، وبإدارة ميدانية من قبل الكونيل شوارتزكوف (Schwarzkopf) (١٤)، قائد عمليات بعثة الدرك الأمريكية العاملة في إيران.^(٥)

(1) HAKIMEH Saghay –Biria, United States. Propagandain Iran:1951-1953. Submitted to the Gradu at faculty of the Louisiana State University, 2009, P 84.

(2) Homa Katouzian, Musaddig, and The struggle for Power in Iran. London, 2009. PP. 267 -71.

(٣) مصطلح دعائي يرتبط بالحرب النفسية يستخدم اسلوب الانقلابات العسكرية بمعونة دولة أخرى او أسلوب الإغتيالات السياسية والحزبية لغرض التأشير على مجمل الإتجاهات السياسية والاجتماعية، أضف الى ذلك قد يدخل ضمن هذا المصطلح الدعائي ماتقدمه بعض الدول من معونات اقتصادية لجلب الأنصار للدولة المقدمة للمعونة، عن ذلك ينظر: احمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتنمية، الكويت، ١٩٨٢، ص ١٩٥.

(٤) كيرمت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، أشهر رجال المخابرات الأمريكية في مرحلة الخمسينات عمل في مصر والعراق وإيران ومعظم اجزاء الشرق الأوسط، محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، ط ٥، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٩٠-١٩٥.

(٥) محمد وصفي ابو مغلي، العلاقات الايرانية - الأمريكية وأثرها في الخليج العربي ١٩٤١ -

ولعل إدراك المؤسسة الدينية خطورة التحركات الأمريكية في إيران واتخاذها موقف الرفض والماند كان في محله؛ لأنها كانت مدركه تمام الإدراك بأن دخول واشنطن على خط الأزمة الداخلية بين مصدق والشاه، سيجعل إيران ساحة لتطبيق الاستراتيجيات الأمريكية وصراعاتها مع الاتحاد السوفياتي، وهذا ماحدث تماماً، إذ أضحت إيران ميداناً رحباً لعمليات المخابرات الأمريكية، أضف الى ذلك ربط الشاه إيران بأمريكا ربطاً وثيقاً، إذ كانت كل التعليقات تصدر من السفارة الأمريكية في طهران تنفذ دون جدال مهما كانت حتى التافهة منها^(١).

وبالتناغم مع موقف المؤسسة الدينية في إيران، جاءت رؤية المرجعية الدينية في النجف متوافقة معها بأهمية إبعاد بلاد المسلمين عن تأثيرات السياسة الأمريكية، وقد تمثلت تلك الرؤية في مواقف سماحة المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم تذت إذ رفض اتخاذ المسلمين أدوات للتنافس الفكري المادي بين الشيوعية والقوى الغربية، سيما بعد وصول حزب البعث الى السلطة في العراق عقب نجاح انقلاب (٨ / شباط ١٩٦٣) الدموي، فبالرغم من الشعارات التي رفعها قادة البعث بأنهم ضد توجهات الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، بيد أن سياساتهم المتعاقبة أفضت الى فضحهم بما لايساوره شك في أنهم مجرد أدوات تتلاعب بها الادارة الأمريكية، إذ اثبتت الوقائع والشواهد بأن التدخل الأمريكي كان له القول الفصل في وصول هذه الفئة المتآمرة لمركز الحكم في العراق، ولعل قول الملك الأردني حسين بن طلال خير دليل وبرهان على الدور الأمريكي في نجاح الانقلاب، حيث أشار بقوله: (ان ما احدث في العراق يوم ٨/ شباط ١٩٦٣ كان بتأييد كبير وواضح من المخابرات المركزية الأمريكية)^(٢)

١٩٧٩ م، البصرة، ١٩٨٢، ص ١٧-٢٠.

(1) Hakimeh Saghay – Bira، OP cit، PP 77 – 78.

(٢) نقلاً عن ماريون فاروق سلوغب، بيتر سلوغت، من الثورة الى الدكتاتورية، العراق منذ

١٩٥٨، ترجمة، مالك النبراسي، منشورات الجمل، ٢٠٠٣، ص ١٢٦.

أضف الى ماتقدم فقد ذكر عدد من موظفي وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت بأن صدام حسين وبعضاً من البعثيين قد أجروا اتصالات مع السلطات الأمريكية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن المنصرم، إذ كان الاعتقاد والسائد لدى صناعات القرار السياسي الأمريكي آنذاك بأن البعث هو القوة السياسية للمستقبل ويستحقون الدعم الأمريكي ضد حكم الزعيم قاسم^(١). ولعل من يستقري هذا الجزم لقادة الولايات المتحدة بأن البعث هو القوة السياسية للمستقبل، قد لا يندهش (خصوصاً أن السياسة لا جزم فيها، إذ هي فن الممكن ضمن عالم متغير، ومع ذلك فإن الرؤية الأمريكية بنيت على واقع صلب إذ تؤكد لسانة واشنطن ان هذا الحزب وقادته لا يتحدونهم في فعاليتهم السياسية او تحددهم ثوابت او مبادئ او قيم مما يجعلهم اكثر طواعية لمتطلبات السياسة الأمريكية في المنطقة.

ولعل ما ذكره الأستاذ حسن العلوي يؤكد صحة ما ذهبنا إليه في تحليلنا إذ أشار الى أن البعثيين قد استخدموا أسلوباً وضيعاً في تأجيج الشارع والجماهير ضد الحزب المنافس (يقصد بذلك الحزب الشيوعي)، حيث اقدم عدد من اعضاء حزب البعث على حرق القرآن الكريم امام انظار الناس وادعائهم بأن شيوعيين قاموا بذلك مما أدى بالجماهير الى اتخاذ مواقف عدائية ضد الحزب الشيوعي وأنصاره^(٢).

وبالعودة الى الدعم الأمريكي للبعثيين في انجاح انقلابهم في عام ١٩٦٣، فقد أشار أحد أبرز قادتهم وهو علي صالح السعيد حينما سئل في صيف عام ١٩٧٦ م عن صحة ما نقل عنه خلال جلسات المؤتمر القومي السابع للبعث (بأنهم جاؤوا الى الحكم

(1) F.R.U.S، 1961 -1962، Vol xvII، Memorandum، from Depart – ment of states، Executive Secretary to the President's Special Assistant for National Secretary، Washington، June، 20، 1962،

مايون فاروق سلوخت، بيتر سلوخت، المصدر السابق، ص ١٢٦- ١٢٧.

(٢) حسن العلوي، مقابلة تلفزيونية مع قناة البغدادية الفضائية بتاريخ ٢٢/٣/٢٠١٤.

في العراق بقطار أمريكي، حيث أكد صحة قوله وأن الدعم الأمريكي كان له الفضل الأكبر في اتمام السيطرة على الحكم في العراق^(١).

لقد طبق قادة حزب البعث معظم آليات الاستراتيجية الأمريكية لاسيما المتعلق بالمجتمع العراقي إذ قسم على أسس عرقية وطائفية مع ايجاد حالة من العداء المعلن مع المؤسسة الدينية في النجف الأشرف، إذ اقدمت السلطات البعثية على تفسير معظم علماء الدين عن العراق بحجة أنهم يمارسون أدواراً سياسية وكان على رأس أولئك السيد الخميني رضي الله عنه والذي كان يقود الثورة في إيران من مدينة النجف عبر ماسمي بـ (ثورة الكاسيت)^(٢) أي إيصال تسجيل محاضرات السيد الى إيران عبر تهريب اشرطة الكاسيت.

بيد أن الاستراتيجية الأمريكية وخياراتها المتعددة ازدادت (برجماتية)^(٣).

برؤى شديدة التطبيق في عام ١٩٧٩، لعل الأحداث التي انتابت المنطقة حتمت على الإدارة الأمريكية الجنوح الى هذا التشدد، فالحدث الاول تمثل في اعلان انتصار الثورة الاسلامية في إيران، بقيادة السيد الخميني واسقاط حكم الشاه، والثاني الاجتياح

(١) مايون فاروق سلوغيت، بيتر سلوغت، المصدر السابق، ص ١٢٦، مصداقاً لهذا الكلام ماأكده، السياسي الكردي محمود عثمان، في لقاء له مع قناة ابو ظبي الفضائية عام (٢٠٠٠) وفي برنامج بين زمنين، إذ اشار عثمان أنه ألتقى السعدي في باريس وأكد الأخير صحة الدعم الأمريكي ومصداقية مقولته حيث إشار (أن الغاية تبرر الوسيلة).

(٢) عن ذلك ينظر: محمد حسنين هيكل، مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، ط ٤، دار الشروق،

القاهرة، ١٩٨٨.

(٣) البرجماتية (PRAGMA) مصطلح مشتق من اللفظ اليوناني ومعناه العمل وهو مذهب فلسفي يقدر ان العقل لا يبلغ غايته إلا إذا اوصل صاحبه نحو النجاح، فالفكره الصحيحة هي الفكرة الناجحة ولقد سيطر هذا الاتجاه الفلسفي على الفكر والسلوك السياسي الأمريكي الذي يبغى البحث عن النجاح العملي والفصلي دون النظر للمبادئ والقيم الانسانية والروحية، للمزيد ينظر: جميل صليب، المعجم الفلسفي، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

السوفياتي لأفغانستان وتنصيب حكومة شيوعية موالية لموسكو برئاسة نجيب الله، وفي ضوء ذلك كان على الولايات المتحدة أن تأخذ بزمام الأمور وتستعين بعملائها في المنطقة حتى يمكن ان تحتوي تداعيات الثورة في إيران، سيما وأن معظم علماء النجف الأشرف قد أعلنوا عن تأييدهم الكبير لهذه الثورة وقادتها وعليه رتبت عملية وصول صدام حسين للسلطة في العراق وذلك في ١٧/ تموز ١٩٧٩ حتى يؤدي دور الشاه الذي تخلت عنه واشنطن وأصبح في حكم المعادلات السياسية عملية خاسره للإدارة الأمريكية، خصوصاً وأن معظم سياسات البيت الأبيض ترسم على أسس دعائية تروج لمفاهيم لبرالية واحترام ارادة الشعوب^(١).

وفي تسعينيات القرن الماضي وفي ضوء الضعف الذي دب في اوصال الاتحاد السوفياتي رغم عملية اعادة البناء Perostricka التي اعلن عنها الرئيس ميخائيل غورباتشوف إلا أن الادارة الأمريكية برئاسة جورج بوش كانت تريد الدخول العسكري في الخليج لذلك أمرت صدام بافتعال أزمة سياسية مع الكويت واعطته السفير الأمريكية في بغداد (أبريل جلاسبي A.Galasbi الضوء الأخضر لغزو الكويت)^(٢).

لقد كان موقف علماء الشيعة والمؤسسة الدينية واضحاً حيال هذه الاستراتيجية الهادفة لاحتلال أقاليم المسلمين بحجة حماية حلفاء واشنطن في المنطقة، إذ أكدت مراجع النجف وإيران ولبنان، على ضرورة الوقوف ضد التوجهات الأمريكية الرامية الى تفتيت المنطقة وإحكام سيطرتها على ثرواتها ودعم إسرائيل بشكل لا محدود في مد نفوذها في الدول الاسلامية، ولعل خوف المرجعية على المنطقة وشعوبها كان في محلة، إذ اعرب المتحدث باسم البيت الأبيض عقب انتهاء عمليات عاصفة الصحراء وتحرير

(١) مجدي كامل، كيف تبيع أمريكا أصدقاءها، الأمريكان واستراتيجية الغدر بالحلفاء، دار

الكتاب العربي، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٢-٩٣.

الكويت قائلاً (إن الحرب قد انتهت والغرب يتوجه نحو استراتيجية إقامة نظام عالمي جديد في الشرق الأوسط والسياسة التي ستتع من الآن فصاعداً هي: استمرار الحرب في المنطقة ولكن بوسائل أخرى)^(١).

ويبدو أن هذا الموقف الرفض لسياسة واشنطن ومن ورائها اسرائيل في المنطقة كان له تداعياته على الواقع العراقي، امتد لعقد من الزمن، إذ وقفت واشنطن الى جانب نظام صدام حسين في اجهاض الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وضرب الجموع المهاجمة قرب بغداد بالطائرات لحماية النظام، وتثبيت حكمة في اضطهاد الاغلبية الشيعية، والتحول فيما بعد لاتخاذ استراتيجية جديدة تركز صيغة العقوبات الاقتصادية والتقنية على العراق وإيران وهي ماسميت باستراتيجية الاحتواء المزدوج (containment pair) ومع كل الخدمات التي قدمها صدام حسين إلا أن الأمريكان أخذوه ذريعة لأستنزاف الأموال الخليجية، وهذا ما عبر عنه السفير الأمريكية لدى قطر في ٢٢ / ٣ / ١٩٩٣ قائلاً: (ان نجاح سياساتنا لا تعتمد على ذكائنا وإنما على عناد أعدائنا)^(٢).

وبالرغم من كل النجاحات التي تحققت لواشنطن بوجود صدام حسين على رأس السلطة في العراق، إلا أن الاستراتيجية التي اتبعها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، اختلفت عن سلفه بيل كلنتون، إذ عمد الى إصدار قانون تحرير العراق وقرر الإطاحة بالنظام العراقي في بداية عام ٢٠٠٣، بيد أن المتأمل لهذا التغيير في الاستراتيجية الأمريكية يمكن أن يؤشر جملة معطيات طفت على سطح الأحداث وكان لها النصيب الأكبر من ذلك التغيير، منها أن واشنطن سعت لإيجاد موازنة لتفرد السعودية لسوق النفط العالمي بإدخال العراق الى ذلك السوق وتوفير طاقة رخيصة مع مراعاة خطورة اعتماد الولايات المتحدة على امدادات النفط السعودي والتي بلغت في عام ٢٠٠٠ الى

(١) غازي السعدي، اسرائيل في حرب الخليج (وجهة نظر اسرائيلية)، دار الجليل للنشر، عمان،

١٩٩١، ص ١١٩.

(٢) مجدي كامل، المصدر السابق، ص ٩٢-٩٣.

اكثر من ٦٤٪ بحسب تقارير (المجموعة القومية لسياسة تطوير الطاقة)

(NPD) (National Energy policy Development Group) الأمريكية^(١)

بالإضافة الى رسوخ الرغبة الأمريكية الجارحة في إيجاد بؤر للتوتر تكون معالجتها عن طريق اتخاذ اجراءات عابرة للحدود، لاسيما بعد التخلي عن استراتيجية الرد الشامل Massive Rwtali ation وتعويضها باستراتيجية الحرب بالوكالة Proxywars^(٢).

وبالتأكيد لا يتم التنقل لهذه الاستراتيجية دون توفير السبل الكفيلة لتنفيذها، وهو ما تم عن طريق إيجاد جماعات ارهابية متطرفة تكون متجاوزة لمفاهيم القومية وعابرة لسيادة الدول، وهذا مارشح عنه اصدار قانون مكافحة الإرهاب الذي تبنته واشنطن، بعد اصداره من الكونكرس الأمريكي باسم قانون الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية وسمي بـ (US patrot Act) الذي يعني تجمع قوى امريكا وتعزيزها لصد الارهاب^(٣).

ونظراً لرؤية الفكر الاسلامي بأنه الإرهاب الأقصى تهديداً للولايات المتحدة، ولاسيما أن معظم كتاب امريكا دائماً ما يثيرون ان هناك تيارات اسلامية لاتميز بين الدين والسياسة ويدخلون تعاليم الدين ضمن ممارساتهم السياسية مما يشوه الدين والسياسة بحسب قول اولئك الكتاب^(٤).

وعليه وفي ضوء ذلك فقد اتشح قانون مكافحة الارهاب برداء فكري أيديولوجي رفعه الرئيس الأمريكي بوش، إذ عبر عن ذلك بقوله: (إن الله أمرني بقتال القاعدة

(1) Naif Bin Hethlain Saudi Arabia and the US Since 1962: Allies in conflict, London, 2013, PP,331-31.

(٢) أ. ادلفي، التقنية الجديدة وسياسة الأمن الغربي، ترجمة مديرية التطوير القتالي، وزارة الدفاع (كتب محدودة التداول)، بغداد، ١٩٩٩، ص ٩-١٣.

(3) Naif Bin Hethlain, OP, cit, P.312.

(4) Ibid, PP.312-14.

وطالبان ومحاربة وإزالة نظام صدام ففعلت^(١)، كذلك قوله: (إنتاج صراع بين الخير والشر، وامريكا سوف تسمي الشر باسمه)^(٢).

في ضوء هذه التحديات الفكرية والأمنية، أقيمت المؤسسة الدينية مديات الخطورة التي يضمها هذا القانون الأمريكي للإسلام وشعوبه، لذلك برز دورها من خلال خطابات المرحلة، إذ أكدت فيها ضرورة التنبه لمشاريع الغرب في المنطقة مع الابتعاد عن كل مامن شأنه أن يثير الخلاف بين الشعوب الاسلامية؛ لأن أي خلاف يقع سيكون مدعاة للتحرك الأمريكي لتنفيذ خططها وسياساتها المرسومة مسبقاً.

وهذا ما تم بالفعل من خلال إيجاد قوى أكثر تطرفاً مثل داعش والنصرة وغيرها بمعاونة من حلفائها في المنطقة.

(١) ياسر عبدالحسين، القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية، بعد الحرب الباردة، دار مكتبة

عدنان، بغداد، ٢٠١٥، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

المحور الثاني :

المرجعية الدينية والتحديات الغربية (الحشد الشعبي أنموذجاً) مثلث
الأحداث الأمنية التي ضربت العراق والمنطقة في حزيران عام ٢٠١٤
والمتمثلة بظهور داعش كقوة استراتيجية وكمرآة عاكسة لحقيقة
المخططات الغربية.

وقبل الخوض في حيثيات هذا الموضوع يمكن لنا إثارة تساؤلات عدة نحدد
ضمنها خطورة الموضوع وتداعياته، منها الى متى يمكن القول أن داعش مثل ضرورة
استراتيجية أمريكية في المنطقة والعالم؟ وهل كان رد الفعل الديني والشعبي في العراق
بمستوى هذه الضرورة الاستراتيجية؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لابد لنا ان تفرج على الذاكرة التاريخية ونتصفح ما
حفظته لنا من ممارسات امريكية سابقة، فبعد الاجتياح السوفياتي لأفغانستان في كانون
الأول عام ١٩٧٩، رأت الادارة الأمريكية أن الفرصة مؤاتية لاستدراج السوفيات
نحو حرب طويلة الأمد ورد الدين الذي بذمتها نحو موسكو في حرب فيتنام، لذلك
اعتمدت واشنطن على استراتيجية حرب الاستنزاف (War of Attrition) من خلال
ايجاد ودعم قوى محلية تمارس حرب عصابات مكلفة ضد موسكو^(١)، بمعاونه دول
أقليمية تدور في تلك السياسة الأمريكية وهو ماتتخصص عنه إيجاد وتأليف تنظيم
القاعدة برسم من واشنطن ودعم مالي سعودي وخليجي مع توليف تحالف معاون
من مصر وباكستان للدعم اللوجستي، وقد برز اول دعم أمريكي للقاعدة من خلال

(1) Naif Bin Hethlain، Op.cit، P. 148

المذكورة التي رفعها برجنسكي Brzezinski مستشار الأمن القومي الأمريكي للرئيس جيمي كارتر (G. carter) في ٢٦ / كانون الاول المتضمنه توصيات بأهمية زيادة المساعدات الأمريكية للتنظيم مع ضرورة أن ترغب باكستان بأهمية المساعدة مع مراعاة ان تعمل ذلك بتنسيق كامل مع الدول الاسلامية والعربية^(١).

بإضافة لما تقدم ركزت المذكرة على أهمية الاجراء للدول الاسلامية بالعمل على اطلاق حملة دعائية واعلامية واسعة للتعريف بالتنظيم على أنه يمثل قاعدة للجهاد ضد الألداد الشيوعي^(٢).

وبالتناغم مع الموقف الأمريكي أخذت السعودية وبالتنسيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) تجمع الأموال لتدعم التنظيم ووضعت خطة أمريكية تعتمد على المال السعودي بتكليف مصر بشراء سلاح سوفياتي وتهريبه الى باكستان بالتعاون مع (CIA) حتى يصل الى القاعدة دون إثارة السوفيات، ولايجاد خرق معنوي بالاجراء الى وجود عناصر سوفيتية داخل الجيش تقوم بإرسال هذه الأسلحة، فضلاً عن فتح باب الهجرة الى أفغانستان عن طريق الحدود الباكستانية للجهاد والقتال^(٣).

ولعل النظرة المتفحصة لهذه الاستراتيجية تجدها مشابهة الى حد كبير للاستراتيجية الأمريكية حيال داعش وإن اختلفت في بعض الآليات المستخدمة، فالدول التي تدعم القاعدة سابقاً هي ذاتها الداعمة لداعش مع توافر الأموال الخليجية والرغبة الأمريكية لاستدراج روسيا وإيران، لاسيما أن موسكو عكفت منذ سنين على انضاج استراتيجية روسية تحدد فيها ماهية دورها في قيادة العالم، ففي عام ٢٠٠٧ نشرت وزارة التنمية الروسية بالتعاون مع وزارة الخارجية الاستراتيجية الروسية حتى عام ٢٠٢٠ والمتمركزة

(1) NSA، Memorandum from Brzezinski to cartere، Reflections on sovit Intervention in Afghanistan، 26 Deceimber 1979.

(2) Ibid.

(3) Naif Bin Hethain، OP،cit PP.160 – 63.

أصلاً على ضرورة عودة روسيا كدولة وقوة قيادية في الاقتصاد العالمي، أضف الى ذلك تركيز زعامتها في مجال التحديث في العالم، وانطلاقاً من تلك الرؤية الروسية المستقبلية وخطورتها، أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندليزا رايس عام ٢٠٠٧ (أن) التحدي الروسي الرئيسي لنا وللعالم لم يكمن في سياستها في مجال الطاقة والرامية الى السيطرة الكاملة على هذا الجانب^(١)، ويبدو أن نظرة رايس كانت منطقية الى حد كبير خصوصاً وأن موسكو تكتسب اهميتها كمصدر رئيس للنفط والغاز الى حلفاء واشنطن في اوربا الغربية إذ تغطي روسيا مانسته ٥٠٪ من احتياجات الغاز الأوروبية^(٢).

وعليه كان على واشنطن ايجاد بؤر للتوتر قريبة من مصالح روسيا الاستراتيجية أملاً في اشغالها عن خططها المستقبلية وهذا ما تم عن طريق ايجاد داعش كقوة مشابهة للقاعدة في العراق وسوريا، يتمحور في ثلاثة ابعاد رئيسية هي قوة اراهابية عابرة للحدود الوطنية، وشبه دولة، وأيديولوجية سياسية ذات اصول دينية متطرفة^(٣).

وفي ضوء الاستراتيجية الأمريكية المصادفة الى ايجاد مناطق توتر تشغل دول المنطقة والعالم جاء الاجتياح الداعشي لمناطق العراق في الموصل والمنطقة الغربية، والذي وجدت فيه المؤسسة الدينية في النجف والتمثلة بالمرجعية العليا بأنه تهديد للوجود ولكيان الدولة العراقية، ففي يوم ١٠ / حزيران ٢٠١٤ وصلت المجاميع الارهابية على مشارف بغداد وأخذت تهدد السكان الآمنين^(٤) وبعد ثلاثة ايام أصدرت المرجعية فتواها الشرعية بضرورة حمل السلاح وجهاد هذه الفرق المارقة في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ / حزيران ٢٠١٤ والتي ألقاها سماحة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي من على منبر

(١) ياسر عبدالحسين، منطقة الفراغ في العلاقات الدولية، الرهان الأمريكي - الروسي في عالم متغير، اصدارات مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٤) جريدة الصباح الجديد ١١ / حزيران ٢٠١٤.

الجمعة في العتبة الحسينية المطهرة، إذ اشار ان ساحة المرجع الاعلى السيد علي السيستاني اعلن فتواه بالجهاد الكفائي لمحاربة داعش ومن يقف وراءها^(١).

وانسجاماً مع الفتوى الجهادية يمكن للمنصف أن يجد حقيقة تاريخية راسخة هي ان نظرة المرجعية كانت حريصة أن تولي رعايتها لجميع العراقيين دون استثناء لقومية او طائفة او دين ولهذا جاءت فتواها على شكل دعوة للكل^(٢).

في حين حاول بعض السياسيين ولاسيما الكرد تحقيق مكاسبهم ومصالحهم عن طريق استغلال الأزمة الأمنية، وهذا ما عبر عنه رئيس الأقليم مسعود البارزاني بقوله: (ان عراق ما قبل ٦/١٠ سيختلف كثيراً عن عراق ما بعد ٦/١٠) وهو يشير هنا الى ضرورة تقسيم البلاد وتوسيع رقعته الجغرافية من خلال التهديد الداعشي^(٣).

هذا الموقف الكردي كان قد تناغم مع مواقف القوى الأخرى ولاسيما من سياسيي المنطقة الغربية وبعض زعاماتها الذين أخذوا ينشدون إقامة أقليمهم الخاص بدعم من الدول الإقليمية ولاسيما العربية منها^(٤).

وطبقاً لرؤى المرجعية ومواقفها حيال التحديات اجتهد أبناء العراق في الوسط والجنوب لتلبية نداء ودعوة المؤسسة الدينية وهو مانضح عنه تشكيل فصائل جهادية شعبية لمجابهة التحديات، وعليه رأت فصائل الحشد الشعبي النور والتي مثلت رادعاً استراتيجياً تحت أمرة المرجعية، وبدأت هذه الفصائل تقلب المعادلة العسكرية ضد داعش من خلال تحقيق انتصارات سريعة كانت غاية في الأهمية كونها أرجعت الثقة الكاملة في نفوس المجاهدين بقدرتهم على إفشال جميع المخططات الغربية في العراق

(١) قناة كربلاء الفضائية، خطبة الجمعة بتاريخ ١٣/ حزيران ٢٠١٤، قناة الانوار الفضائية،

بتاريخ ١٣/ حزيران / ٢٠١٤.

(٢) جريدة البيئة، بتاريخ ١٦/ حزيران ٢٠١٤.

(٣) جريدة الصباح الجديد، بتاريخ ١٤/ حزيران / ٢٠١٤.

(٤) المصدر نفسه.

والمنطقة^(١).

وإذا ما أردنا أن نضع تقييماً للحشد الشعبي في الميزان الاستراتيجي، فيمكن القول ان الحشد أصبح يمثل رقماً صعباً في المواجهات مع قوى التطرف لاسيما بعد العمليات التي خاضها وحقق فيها انتصارات كبيرة بحسب المراقبين الأميركيين، ويشيد الأستاذ هادي العامري رئيس منظمة بدر وأحد أبرز قادة الحشد أن الانتصارات التي تحققت للحشد جاءت كنتيجة متوقعة لتوفر عاملين مهمين هما سرعة اصدار الفتوى من المرجعية مع سرعة استجابة الشعب لهذه الفتوى^(٢).

وتناغماً مع ماتقدم يمكن الاشارة الى أن الانتصارات التي تحققت في ديارى وصلاح الدين وخصوصاً في بييجي وتحرير أمري وتطويق الأنبار والموصل، جعل قوات الحشد تنتقل من استراتيجية رد الفعل الى صناعة الفعل، وهو أخرج السياسة الأمريكية في العراق وأظهر عدم جديتها في قتال داعش، إذ قامت الطائرات الأمريكية بإلقاء المساعدات العسكرية العاجلة الى فلول داعش أملاً في إيجاد نوع من المعادلة العسكرية مع الحشد^(٣).

أضف الى ذلك فقد تناقص عدد الطلعات الجوية الأمريكية على داعش ليصل الى اقل من ١٠ طلعات جوية في اليوم الواحد دون تحقيق اهدافها القتالية^(٤).

وفي ضوء ذلك لجأت الجهات الأمريكية الى اعوانها في العراق لاطلاق حملة دعائية واعلامية لتشويه صورة الحشد والحط من قوته وشأنه من خلال افتعال اعمال تخريبية

(١) خطبة المرجعية الدينية العليا في يوم الجمعة الموافق ١١/ تموز/ ٢٠١٤.

(٢) قناة الغدير الفضائية بتاريخ ٢٢/ تموز ٢٠١٤.

(٣) قناة العهد الفضائية بتاريخ ٢٨/ آذار ٢٠١٥.

(٤) المصدر نفسه، لم تكن واشنطن جادة في حربها على داعش مقارنة مع عدد طلعاتها الجوية على العراق أبان حربها معه عام ١٩٩١، إذ بلغ عدد الطلعات الجوية اليومية الى اكثر من ٢٠٠٠ طلعة، غازي السعدي، المصدر السابق.

مع سرقة بعض الحاجيات المنزلية وإصاقها بقوات الحشد^(١)، من أجل ابعاد مقاتليه عن ساحة العمليات وتوفير الوقت لداعش من أجل إعادة تنظيم قطعاته.

ويبدو أن هذه الحملة لم تكن لتلقى قبولاً لدى الشارع العراقي، لاسيما ان هذه الأساليب لم تكن ببعيدة عن ذاكرته، حيث استخدم حزب البعث وقادته هذه الحملة أبان الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ حينما تم توجيه جهاز المخابرات العراقي بحرق المخازن الغذائية والمستشفيات والمنشآت الحيوية واطلاق حملة دعائية بأن هذه الاعمال قامت بها فصائل المقاومة في وقتها.

وأخيراً لا بد لنا من القول ان المؤسسة الدينية والشعب العراقي كان في مستوى الحدث الذي انتاب البلاد وهدد هويته ووجوده، وعليه فقد استطاعت المرجعية الدينية افراغ استراتيجيتها الدفاعية وارغام الدوائر الأمريكية بقبول الواقع المتحقق على الأرض واعتبار المبادرة تتركز بهذه المؤسسة الراعية لكل أبناء العراق.

(١) قناة الشرقية الفضائية بتاريخ ٢/ نيسان ٢٠١٥.

التوصيات

مثل موضوع الحشد الشعبي والبحث في مفرداته أهمية قصوى، كونه أوضح فيه حيوية المجتمع العراقي في تفاعلاته مع حركة المؤسسة الدينية ودورها الأبوي لجميع فئات الشعب العراقي، لذلك كان الحشد القوة الحقيقية الرادعة للتوجهات الإقليمية والأميركية المعادية، لذا أخذت تلك الجهات تسعى لافشال فعالية هذا الحشد.

وعليه يمكن طرح توصيات عدة نجد فيها مايرصن دور الحشد ويعطيه أهمية استراتيجية كبرى مستقبلاً وهي ما يأتي:-

١. تأليف وإنشاء هيئة سياسية كبرى تكون مسؤولة عن ادارة الجانب السياسي للحشد تكون مؤلفة من مراجع النجف الأشرف الكبار او من ينوب عنهم، من أجل ضبط الايقاع السياسي وتوحيد الخطاب الديني والمعنوي للحشد.

٢. ضرورة تشكيل هيئة أركان مشتركة تضم جميع فصائل الحشد الشعبي من أجل تنسيق وادارة العمليات العسكرية.

٣. تخصيص موازنه مالية كبيرة للحشد تدرج ضمن ميزانية الوقف الشيعي من أجل تأمين الجانب المالي لقواته.

٤. انشاء مؤسسات علمية وتعليمية لتأهيل قوات الحشد من خلال اقامة الدورات العسكرية والاستعانة بالخبراء، مع أهمية ادخال ضباط الحشد بدورات علمية في دراسة الأركان والعلوم العسكرية والاستراتيجية.

٥. ضرورة دعم قوات الحشد بأسلحة استراتيجية ثقيلة حتى يتسنى له القيام

بواجباته الجهادية بأقصر الأوقات وأقل الخسائر.

٦. التأكيد على ابعاد الحشد الشعبي عن صراع المزايدات السياسية وتجنبيه الدخول في أروقة الحكومة مع الحرص أن يكون ارتباطه الرسمي بشخص رئيس الوزراء حصراً كونه القائد العام للقوات المسلحة.

٧. التفكير الجدي بضرورة استيعاب أفراد الحشد الشعبي ضمن مؤسسات الدولة لمرحلة ما بعد داعش، حتى يكونوا على مقربة من المستجدات السياسية والأمنية وأكثر استعداداً لتلبية الدعوات الجهادية عند الضرورة.